Al-Mahdi Research Journal (MRJ)
Vol 5 Issue 2 (Oct-Dec 2023)
ISSN (Online): 2789-4150
ISSN (Print): 2789-4142

The state of Egypt in the era of Muhammad Ali Pasha and his efforts to move from backwardness to modernization

حالة مصر في عصر محمد علي باشا وجهوده للخروج من التخلّف إلى التحديث

Gulshan Shaheen
PhD Scholar, Department of Arabic, The Islamia University of Bahawalpur. Gulshanshaheen55@gmail.com

Dr. Shabana Nazar
Associate Professor, Department of Arabic, The Islamia University of Bahawalpur. shabana.nazar@ymail.com

Abstract

When Muhammad Ali Pasha assumed leadership in Egypt, he encountered a landscape ravaged by poverty, ignorance, and disease. Determined to bring about a transformative change, he embarked on an ambitious mission to modernize Egypt's infrastructure and institutions. With unwavering dedication, he revolutionized the country's military, introduced fair labor laws, and initiated agricultural projects to stimulate economic growth. Recognizing the importance of education, he established schools for mathematics and military sciences, inviting European teachers to impart their knowledge. His efforts extended beyond domestic improvements; he fostered international exchange by sending students to Europe to broaden their understanding of arts and

CC BY

Islamic teachings. Through the establishment of armaments and ship factories and the translation of essential texts, Muhammad Ali Pasha laid the groundwork for a new era of prosperity and advancement in Egypt, leaving a lasting legacy of progress and innovation.

Keywords: Muhammad Ali Pasha, Egypt, modernization, military, Europe

التمهيد:

قد قامت في مصر دولة المماليك بعد الدولة الأيوبية -التي كانت قد امتدّت إلى حجاز والشام على يد الأيوبي[1] الذي كان سعيه في تحقيق المملكة الواحدة الإسلامية من النيل إلى الفرات، وقد تحقّق حلمه (الأيوبي) بعد استيلاءه على حلب[2]- وإذا تحدثنا عن ترقية اللغة العربية وتطور العلوم والفنون خلال هذه الفترة فنرى بأن أكثر الملوك من هؤلاء المماليك كانوا أعاجم، وكانوا قد أسلموا وشرعوا في خدمة الإسلام، ففاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة -وإن لم يفد ذلك اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العجمة منهم، ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانيين كثير من الألفاظ التركية والفارسية-.[3]

وكانت تدوين المتون وغيرها في عصر المماليك موجزا جدا. وكانت في الشروح والمطولات مبسوطة: ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر: "شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الإربلي المعروف بابن خلكان المتوفى سنة 681 هـ، عز الدين بن عبد السلام المتوفى سنة 660 هـ، والشهاب الخفاجي النحوي المتوفى سنة 761 هـ، ولسان الدين بن الخطيب المتوفى 776 هـ، وسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة 791 هـ، وعبد الرحمن ابن محمد المعروف بابن خلدون المتوفى سنة 808 هـ، وابن هشام الجرجاني المتوفى سنة 816 هـ، وابن حجر العسقلاني المتوفى سنة 852 هـ، وعبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخضيري المعروف بالإمام السيوطي المتوفى سنة 911 هـ، وابن مكرم، وفيروز أبادي، وغيره من المؤلفين".[4]

محمد على باشا ودوره في مصر الحديث:

قد يُلَقّب محمد علي باشا بمؤسس مصر الحديثة، وإن نسعى أن نفهم رِحلة التحديث في عصره فعلينا أن ننظر إلى التغييرات التي أحدثها محمد علي باشا في مصر. كان محمد علي باشا قائد الجيش العسكري، وكان يواجه منافسةً بين الجيوش البريطانية والفرنسية بالإضافة إلى التهديدات التي كانت تصل إليه حيناً بعد حينٍ من المماليك الذين حكموا البلاد في الماضي.

ولمّا ولى محمد علي باشا مصر وجده في نهاية درجة الجهل والفقر والبربرية، وحتى وجده أن قد تمكّنت فيها الأمراض الوبائية من الطاعون وغيرها وصارت عادية تضيع عددٌ كبير من الناس سنوياً من سكّانها، ولسبب تلك الأمراض قل عمرانه وما بقي من مآثر تقدم المصريين غير الاسم في التاريخ. ولم توجد للعلوم الشرعية

كذلك بقية آثار سوى علماء الأزهر، وكان ذلك كله لمرور تقلبات الدهر والجور والظلم والحروب والاستبداد عليها في الأيام الخالية.[5]

ووجه ذلك لأن مصر كانت تحوّلت من عز إلى ذل، في عصر العمثانيين -بعد عصر المماليك- وخاصّةً في عصر سليم الأول، وما كان هذا التحول من حيث السياسة فحسب، بل من حيث العلوم والفنون أيضاً؛ لأن سليم الأول أخذ معه عدداً كثيراً من الأدباء والعلماء وأدوات الترف والحرف والمهندسين، ولماذا يبقى هؤلاء في مصر؟ وعصر المماليك قد انتهى، ولم تك هناك حاجة ولا لصناعة، فعلى أرباب الصناعة أن يذهبوا بها إلى القسطنطينية، وليذهب معهم رجال الفكر والعلماء، ولتذهب أيضاً الكتب التي تعتز بها مصر، حتى فقدت مصر كل ما لها من سيادة فينة وعقلية، بجانب ما فقدت من سيادتها السياسية.[6]

فساعد محمد على باشا بالجد والجهد ووافقه البخت وفتح في مصر باب التجديد، فأوّلا: نظم لها جيشاً منظماً من أهل مصر، ورتب الأداء على الأهالي على حسب قانون، وألزم الناس أن يعمروا الأراضي، وأنشأ مدارس علميةً للعلوم المختلفة كالرياضية والحربية وغيرها، ودعا معلمي أروبا أن يحضروا مصر ويُعلّموا أهلها، وألزم على أهل مصر بالنظافة، وكذلك أحيا المارستانات وتوسّع البناءات والطرقات، وأرسل البعثات إلى أروبا ليتعلّم الطلاب الفنون الأوروبيا، وأحيا أيضاً العلوم الشرعية، وفتح على للتجّار أبواب التجارة، وأنشأ معامل السفن والسلاح، واهتمّ بترجمة الكتب النافعة في الفنون المختلفة من لغات أخرى إلى اللغة العربية، فنشأ مصر الحديثة بجيل جديد وبعصر جديد، بسطت فيه سبل التمدن والعمران والقوة في زمن يسير. وبقي والياً على مصر وعاهد مع العثمانيون على أن تكون الولاية في ذريته من أكبر إلى أكبر، وتنازل عن الولاية في سنة 1265 لابنه الأكبر إبراهيم باشا الذي كان رئيساً لجيوشه وحروبه، وكان على قدم أبيه، وتوفي المذكور في نفس السنة.[7]

حالة التعليم قبل محمد علي باشا:

بعد دخل الفرنساويين مصر سنة 1798م، ما كان في مصر كله سوى مدرسة الأزهر ومكتبتها التي كانت تحتوي كتب علوم الدين وكتب لغة وآداب.[8]

فلما فرغ محمد علي عن قتل المماليك في مجزرة القلعة، امتلك صبيانهم، وأدخل هؤلاء الصبيان والشبان في حرسه، وجميع الآخرين في المدرسة التي كانت بالقلعة ليدرسوا القرآن والكتابة، واللغة العربية والتركية، وفن الفروسية وضروب العسكرية بفروعه: واقتدى في ذلك بعض كبار الأمراء المماليك والسلاطين المماليك البرجيين الذين استأصل شأفتهم من الأرض المصرية.[9]

يقول عبدالرحمن الرافعي في كتابه "عصر محمد على" عن التعليم والنهضة العربية:

"إذا ذكرت حسنات محمد على كان من أجل أعماله توجهه جزءا كبيرا من جهوده إلى إحياء العلوم والآداب في مصر، وذلك بنشر المدارس على اختلاف درجاتها، وإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، وقد اتبع في هذا السبيل تلك الفكرة التي اتبعها في إنشاء الجيش والأسطول، ذلك أنه اقتبس النظم الأوروبية الحديثة في نشر لواء العلم والعرفان، فأسس المدارس الحديثة، وأخذ من الحضارة الأوروبية خير ما أنتجته العلوم

CC BY

والقرائح، فنهض بالأفكار والعلوم في مصر نهضة كبرى كانت أساس تقدم مصر العلمي الحديث. عنى محمد على بنشر التعليم على اختلاف درجاته من عال وثانوى وابتدائى، ويتبين من مقارنة تاريخ المنشآت العلمية أنه عنى أولا بتأسيس المدارس العالية وإيفاد البعثات، ثم وجه نظره إلى التعليم الابتدائى، ونعم ما فعل، لأن الأمم إنما تنهض أولا بالتعليم العالى الذي هو أساس النهضة العلمية.

وقد أراد بادئ الأمر أن يكون طبقة من المتعلمين تعلما عاليا يستعين بهم في القيام بأعمال الحكومة والعمران في البلاد، وفى نشر التعليم بين طبقات الشعب، وهذا هو التدبير الذى برهنت التجارب على أنه خير ما تنهض به الأمم، وقد ساعد على تكوين طبقة تعلمت تعلما عاليا قبل إنشاء المدارس الابتدائية والثانوية أن الأزهر كفل إمداد المدارس العالية والبعثات بالشبان المتعلمين الذين حازوا من الثقافة قسطاً يؤهلهم لتفهم دروس المدارس العالية في مصر أو في أوربا، فكان الأزهر خير عضد للتعليم العالى".[10]

عمل محمد علي باشا أعمالاً عديدة لتطوير التعليم وإخراج أمته من التخلف ومن الإستبداد الخارجي، منها ما يلي:

- قيام المدارس
- إصلاح الأزهر والتساعد بالأزهريين
- البعثات العلمية

وفيما يلي أنواع المدارس التي أنشئت في مصر في عهد محمد على، وهي:

- مدارس ابتدائية من الدرجة الأولى
- مدرسة ابتدائية من الدرجة الثانية
- مدارس ثانوية
- مدرسة للبنات
- مدرسة للصنائع
- مدارس للمعلمين
- مدرسة طبية
- مدرسة للأجزائية
- مدرسة للولادة
- مدرسة للحقوق
- مدرسة للمهندسين
- مدرسة للزراعة[11]

إنشاء المدرسة الأولى:

لما فكر محمد علي سنة 1816م أن يشكّل جيشاً على النظام الغربي، وما فاز في مرامه في بادئ الأمر بسبب الثورة التي قام بها الجنود غير النظاميين حوله، أرسل أكثر من شبان المماليك الذين كانوا بالقلعة في مصر العليا، ليكون منهم مدرسة عسكرية تحت ادارة معلمين غربيين. ثم لملإ هذا الفراغ الذى قد حدث في هذه

CC BY

المدرسة أسس مدرسة أخرى تحضيرية بمصر في القصر العينى للدخول في المدرسة الأولى؛ وذلك في حوالى سنة 1825م ووضع فيها خمس مائة ولد من الكرج والشراكسة والأكراد والأتراك والأرمن والأرناؤط واليونان – وما كان فيهم مصرى واحد - ليتعلموا فيها القرآن، ومبادئ اللغة العربية والفارسية، وليتعلموا فيها الكتابة، والآداب التركية، والرسم والجبر، والهندسة والحساب، واللغة التليانية – لأن التليانية كانت لغة كثيرٍ من معلمى العسكرية الناشئة - وجعل اللغة التركية أساس التعليم كله.[12]

أما المدارس الابتدائية التي أسست في عهد محمد على باشا، فهي كما يلي (بحسب المديريات):

البحيرة: مدرسة النجيلة وشبراخيت، ومدرسة الرحمانية (ثم أحيلت على مدرسة الرحمانية) ومدرسة دمنهور.

الجيزة: مدرسة حلوان.

الغربية: مدرسة المحملة الكبرى، ومدرسة إبيار، ومدرسة زفتى، ومدرسة طنطا، ومدرسة شربين، ومدرسة الجعفرية، ومدرسة فوه، ومدرسة نبروه.

بنى سويف: مدرسة بوش، مدرسة بوش بني سويف.

المنوفية: مدرسة شبين الكوم، ومدرسة أشمون جريس (ثم أحيلت على مدرسة أشمون جريس) ومدرسة منوف.

الفيوم: مدرسة الفيوم.

الدقهلية: مدرسة ميت غمر، ومدرسة المنصورة، ومدرسة صهرجت، ومدرسة المنزلة، ومدرسة محملة دمنه، مدرسة فارسكور.

الشرقية: مدرسة العزيزية، ومدرسة الزقازيق، مدرسة بلبيس، ومدرسة ميت العز، ومدرسة كفور نجم.

القليوبية: مدرسة قليوب، ومدرسة بنها، مدرسة الخانكة ومدرسة طوخ، ومدرسة أبي زعبل.

المنيا: مدرسة المنيا، مدرسة الفشن، مدرسة بنى مزار.

أسيوط: مدرسة أبو تيج، ومدرسة أسيوط، ومدرسة الساحل، ومدرسة سنبو، ومدرسة ساقية موسى، ومدرسة ملوى، وكذلك مدرسة منفلوط.

جرجا: مدرسة جرجا، ومدرسة أخميم، ومدرسة سوهاج، وأيضاً مدرسة طهطا.

قنا وإسنا: مدرسة قنا، ومدرسة قاموله، ومدرسة فرشوط، وأيضاً مدرسة إسنا.[13]

إنشاء المدارس الثانوية والعالية وغيرها:

وأما المدارس الثانوية والعالية والخصوصية التي أسست في عهد (محمد على) فهي:

- قد أنشئت في أغسطس سنة 1824م مدرسة الطبول.
- وكذلك أنشئت في سنة 1824م مدرسة الطبول والأصوات.
- وأنشئت فى سنة 1825م مدرسة القصر العينى العسكرية.
- وأنشئت في أغسطس سنة 1827م مدرسة الموسيقى في الخانقاه.

- وأنشئت في أبريل سنة 1829م مدرسة العزف بالنخيلة.
- وأنشئت في نوفمبر سنة 1829م مدرسة الصيدلية بالقلعة.
- وفي أبريل سنة 1831م قد أنشئت مدرسة الخيالة بالجيزة.
- وفي يونيو سنة 1831م قد أنشئت مدرسة الطب البيطرى بأبي زعبل.
- وأنشئت في يونيو سنة 1831م مدرسة المدفعية بطره.
- وكذلك أنشئت فى سبتمبر سنه 1831م مدرسة البحرية بمصر.
- وأنشئت أيضاً في يوليو سنة 1832م مدرسة البيادة بأباض.
- وفي سبتمبر سنة 1832م قد أنشئت مدرسة البيادة بالخانقاه.
- وأنشئت في يوليو سنة 1833م مدرسة المصانع العسكرية.
- وكذلك أنشئت في مايو سنة 1834م المدرسة البوليتكنيكية ببولاق.
- وفى مايو سنة 1834م أيضاً أنشئت المدرسة المعدنية بمصر العتيقة.
- فى يونيو سنة 1834م أنشئت مدرسة البيادة بدمياط.
- وكذلك أنشئت في نوفمبر سنة 1834م مدرسة الآلاتية.
- وأنشئت في سنة 1836م مدرسة الخانقاه العليا.
- وفي يونيو سنة 1836م أنشئت مدرسة اللغات بالأزبكية.
- وفي أكتوبر سنة 1836م أنشئت مدرسة أبي زعبل الاعدادية.
- وأنشئت في فبراير سنة 1837م مدرسة الطب والتوليد بمصر.
- وأنشئت فى فبراير سنة 1837م مدرسة الحسابات بالسيدة زينب.
- وفي مارس سنة 1839م أنشئت مدرسة العمليات الصنائع والفنون.
- وأنشئت في فبراير سنة 1841م مدرسة البيادة بأبي زعبل.

إنشاء مدرستين لعلوم الهندسة: مدرسة الهندسة بالقلعة ومدرسة المهندسخانة ببولاق:

ويظهر لنا بأن أول مدرسة ما فكر فيه محمد على من بين المدارس العالية مدرسة الهندسة، وهذا الشيئ يدل على جانبٍ عملي من فكره، فكان رأيه بأن بلده كان في أشدّ حاجة إلى المهندسين لتعهد أعمال العمران في البلاد، فبدأ بمدرسة الهندسة بالقلعة.

ويبدو مما ذكره الجبرتي في حوادث (1816م): "أن أول مدرسة للهندسة بمصر يرجع عهد تأسيسها إلى تلك السنة، وذلك أن أحد أبناء البلد -على حد تعبير الجبرتي- الذي كان اسمه حسين شلبى عجوة، اخترع آلة لضرب الأرز وتبييضه، وقدم نموذجها إلى محمد على، فأعجب بها وأنعم على مخترعها بمكافأة، وأمره بتركيب مثل هذه الآلة في دمياط، وأخرى في رشيد، فكان هذا الاختراع باعثا لتوجيه فكره إلى إنشاء مدرسة للهندسة، فأنشأها في القلعة".[14]

والظاهر أن مدرسة القلعة وحدها ما كان كافياً على مرّ السنين لسدّ حاجة البلاد إلى المهندسين، أو أن برنامجها ما كان وافيا بمرامه، فأسّس محمد على فى عام 1834م مدرسة أخرى للمهندسين في بولاق، وعين

CC BY

عليها وكيلا أرتين أفندى أحداً من خريجي البعثات، ثم تولى نظارتها يوسف حاككيان أفندى وكان أيضاً من خريجى البعثات. وهذه المدرسة من أنفع جميع المدارس التي أسّسها محمد على باشا، وتخرّج منها المهندسون الكثيرون، وعرضوا خدمات جليلة للبلاد، ومن أشهر أساتذة هذه المدرسة فى ذلك العصر محمد بيومي أفندي، وطائل أفندى، ومحمد بك أبو سن، ودقلة بك، ومحمود باشا الفلكي، وإبراهيم بك رمضان، وسلامة باشا وأحمد بك فايد.[15]

يقول الجبرتي:

"ومنها أن الباشا لما رأى هذه النكتة من حسين شلبي هذه قال: إن في أولاد مصر نجابة وقابلية للمعارف فأمر ببناء مكتب بحوش السراية ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ومماليك الباشا وجعل معلمهم حسن أفندي المعروف بالدرويش الموصلي يقرر لهم قواعد الحساب والهندسة وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات واستخراج المجهولات مع مشاركة شخص رومي يقال له روح الدين أفندي بل وأشخاص من الافرنج وأحضر لهم الات هندسية متنوعه من اشغال الانكليز يأخذون بها الابعاد والارتفاعات والمساحة ورتب له شهريات وكساوي في السنة واستمروا على الاجتماع بهذا المكتب وسموه مهندس خانة في كل يوم من الصباح إلى بعد الظهيرة ثم ينزلون إلى بيوتهم ويخرجون في بعض الأيام إلى الخلاء لتعليم مساحات الأراضي وقياساتها بالاقصاب وهو الغرض المقصود للباشا".[16]

مدرسة الألسن:

أنشئت هذه المدرسة سنة 1836م بالأزبكية (مكان فندق شبرد الآن 1930م تايخ الطبعة الأولى) وهى التى تولى نظارتها رفاعة بك رافع الطهطاوي.[17]

بقية المدارس العالية والخصوصية:

- أسست في سنة 1834م مدرسة المعادن بمصر القديمة.
- وفي سنة 1837م أسست مدرسة المحاسبة بالسيدة زينب.
- وكذكل أسّست مدرسة الفنون والصنائع (وتسمى مدرسة العمليات) في سنة 1839م وولّى نظارتها يوسف بك حككيان.
- وأسست في سنة 1829م مدرسة الصيدلة بالقلعة.
- وأسّست مدرسة الزراعة بنبروه في سنة 1836م، ثم نقلت هذه المدرسة إلى (شبرا)، وبعدها ألغيت في سنة 1839م.
- وكذلك أنشئت مدرسة الطب البيطرى أولا ب(رشيد) وبعد قليل نقلت إلى (أبي زعبل) قريباً من مدرسة الطب، ثم نقلت أخيراً إلى (شبرا) وتولى إدارتها المسيو هامون.
- وكذلك أنشئت المدرسة التجهيزية (الثانوية) بأبي زعبل، وبعدها نقلت هذه المدرسة كذلك إلى الأزبكية.
- وأنشئت المدرسة التجهيزية بالإسكندرية.[18]

CC BY

البعثات العلمية:

من أفضل المواهب الألهية السنية أن يشعر الانسان بما فيه من نقص ويدرك ما يؤدى إليه من الأثر السيء في حياته. وهذه الموهبة العظيمة تستتبع في الغالب موهبة أخرى وهي أن يدفعه ذلك الشعور إلى تلافي هذا أكبر وأعظم. النقص ثم يوفق ويصل إلى الكمال ومن يقرأ التاريخ بشيء من العناية يجد هذه المنح الالهية قد قيضت لمحمد على وأن يد المنعم جلت قدرته قد أفاضتها عليه واحدة تلو الأخرى فعندما أتاحت له الفرصة عرش مصر لابد أن يكون قد تملكه هذا الشعور الصادق بما ينقصه ليكون عرشه قوى الدعائم. فشمر عن ساعد الجد، ولم يسال بما يحيط به من المدلهمات وما يكتنفه من الظلم الحالكة.[19]

وكان عند محمد علي باشا إدراك كامل بأنه لا يمكن أن يتمّ تعليم الشبان بالسرعة والمتانة في داخل مصر، وكان راغباً في أن يُكوّن هيئة أركان حرب مصرية بالسرعة، فبدأ إرسال البعثات منذ سنة 1826م، الى ميلانو، وليفرنو، وروما، وفلورنسا، ليتعلم شبّان البلد صناعة بناء السفن، ويتقنوا في الفنون الحربية، والهندسة العسكرية والمدنية، وفي الطباعة وغيرها. ثم أرسل بعد سنتين، طلبة آخرين الى انجلترا، للحصول على تعليم فن الملاحة وهندسة الآلات الميكانيكا والمائية، والهندسة المدنية.[20]

فأمده الله وسدد خطاه لخلوص نيته وشأن محمد علي عجيب أن شعر رغم أميته بأن الملك لا يشيد إلا على أساس العلم، وأن العلم الذى تقوى به البلاد ليس هو الذي يسمونه علماً في الشرق، وإنما هو العلم الذى تقوم عليه المدنية الغربية، وشيدت عليه صرح علیائها وقوتها فأقرت لها الأمم بالغلبة، ووقفت أمامها صاغرة ذليلة ذلك بلا شك هو ما جال في نفس محمد على، وذلك ما حفزته همته إلى العمل لبلوغه، فعمل وأفلح من غير المؤازرين مثل ما كان لنابليون، وبغير العلماء حوله مثل سائر الملوك الذين رفعوا شأن بلادهم في أوربا.

وابتدأ محمد على النفوذ ما جال في خاطره، فأنشأ المدارس على مثال مدارس أوربا، وأحضر الأساتذة من هناك، وأحس بعد قليل بأن كل هذا لا يفي بالغرض المروم، وأن حاجة البلاد إلى الأجانب من مدرسين وغيرهم لا تزال حيث كانت، وكان يريد أن لا تحتاج بلاده إلى شيء من الخارج، فخطا خطوةً إلى العمل الصحيح لهذه المعضلة، وهو أن يبعث البعوث من الشبان الذين أهلتهم معاهد العلم بمصر إلى أوربا ليتمموا دراستهم بها، ويخصوا في العلوم التي ليس فيها من المصريين إخصائيون.

فأخذ يرسل التلاميذ إلى البلاد الأوربية المختلفة ليتخرجوا في العلوم والصنائع والفنون، ولكن كان ميله أكثر إلى فرنسا.[21]

يوضح عمر طوسون البعثات التي أرسلها محمد علي إلى البلاد المختلفة من الإيطاليا والفرنسا وغيرها من البلاد في رسالته المشهورة "البعثات العلمية في عهد محمد على":

❖ **البعثة الأولى إلى إيطاليا سنة 1813 م:**

"أول بلاد بعث إليها محمد على بعوثا علمية هي إيطاليا فقد أوفد سنة 1813 م وما ولها إلى ليفورن وميلان وفلورنسة ورومية وغيرها من مدن هذه المملكة عدة تلاميذ لدرس الفنون العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها. وقد تعذر علينا معرفة عددهم ولم نعرف من أشخاصهم سوى واحد هو:

CC BY

نقولا مسابكى أفندى: وهو الذي أرسله الى ميلان حوالى سنة 1815 م ليتعلم فن سبك الحروف وصنع أمهائها ويدرس فن الطباعة فيها. فأقام أربع سنوات وعاد إلى مصر وتولى إدارة مطبعة بولاق سنة 1821 م وبقى مديراً لها إلى أن توفى سنة 1831 م.[22]

❖ **البعثة الثانية إلى فرنسا سنة 1818 م:**

تحول نظر محمد على عن إيطاليا إلى فرنسا فأرسل اليها طائفة من التلاميذ حوالى سنة 1818م لم نعرف منهم غير واحد هو:

عثمان نور الدين أفندى[23]: وهو الذي أرسل سنة 1819 م لاتقان الفنون وترقى في الحربة والبحرية، ثم عاد إلى مصر سنة 1820 م مناصبها إلى رتبة سرعسكر ورئيس للعمارة البحرية المصرية سنة 1828 م بدلا من محرم بك زوج بنت محمد على.

❖ **البعثة الثالثة إلى فرنسا سنة 1826م:**

قامت هذه البعثة من مصر فى مايو سنة 1826 م ووصلت إلى فرنسا في يوليو فاشرف علها مسيو جومار. وكان عددها أول ما أرسلت اثنين وأربعين تلميذا، ثم لحق بهم غيرهم. وقد ذكرهم مسيو جومار واحدا واحدا ضمن تقرير عن حالتهم العلمية سنة 1828 م نشره بالمجلة الأسيوية، وذكر فيه أمام كل واحد منهم عمره والبلد الذي ولد به والفن الذي يدرسه. وها هو معرب هذا التقرير:

لم يبرح مسامع الجمهور وصول أربعين شاباً مصريا في شهر يوليو سنة 1826 م مبعوثين من حكومة مصر إلى فرنسا لدرس مختلف فروع الادارة والفنون والعلوم. ولقد تسامع أيضا بنجاحهم إجمالا في اللغة الفرنسية التي هي الموضوع الأول لدرسهم".

ولما كان نجاحهم قد ابتدأ يضاهي الاعتناء بهم وظهرت بارقة الأمل في المستقبل فاننا نرى الوقت قد حان للدخول في تفاصيل تنظيم المدرسة المصرية التى تحتم علينا الاهتمام بها الوجهة السياسية، كما تحتمها دراسة العلوم الشرقية وخدمة الانسانية والمدنية، فلنتكلم إذن بالتفصيل عن أعمال هؤلاء الشبان المصريين، ونشرح خطواتهم الأولى لثقتنا بأنهم جديرون بالتفات الجمهور الفرنسى وعطفه بسبب جدهم المستمر ونجاحهم الظاهر.[24]

وزع هؤلاء الشبان منذ ثمانية عشر شهراً تقريباً على أحسن المدارس الداخلية في باريس وكثيرون منهم كانوا يدرسون في المدارس الابتدائية الملكية. وفي 28 فبراير وأول مارس الماضيين جمعوا في مقام لاختيارهم واختبارهم اختبارا عاما فى وقت واحد. وحضر في الامتحان عدد كثير من ذوى المقامات مثلاً القضاة وأعضاء المجمع العلمى وأساتذة جامعة باريس ورجال الجيش وكذلك عدد كبير من أفاضل الأجانب.[25]

ولأجل معرفة قوة هؤلاء التلاميذ النسبية أمتحن الذين في درجة واحدة من بينهم في موضوع واحد يؤدونه في وقت معين. وهذه الطريقة مع الامتحان الشفوى تظهر معارفهم اللغوية وتبين بالدقة درجاتهم بالنسبة لبعضهم.

وعند نهاية الامتحان عرض كل تلميذ جملة أوراق يتضح منها حسن الخط وصحة الاملاء في وقت واحد. وبعد ذلك أدوا الامتحان الشفوى الذي دام يومين وفي النهاية وضعت الدرجات وأعطيت المكافآت لأوائل الناجحين. ولوحظ في الامتحان الشفوى أن الجمل التي كتبها التلاميذ على السبورة ليعربوها متانة ويحللوها تحليلا منطقيا تدل على الرزانة وشدة الفطنة مع المعنى. فقد كان مما كتبه أحدهم جملة تدل على عادية الدهر ومقاومة بناء الأهرام لها.

وكتب احمد يوسف الجملة الآتية:

قد أشرقت علينا الشمس شروقا ينبيء عن السعادة وستغيب كذلك،، وشرحها شرحا جيداً جعل به هذه الجملة ومزا لمجيء البعثة المصرية.

وكتب خليل محمود الجملة الآتية:

إن العلم منار تستنير به عقولنا وهو سبب لذتها ومتاعها الشريف،، ثم أعربها بوضوح وسهولة أدهشا الحاضرين.

أما الشيخ رفاعة فقد سئل ما هو الامتحان ؟ فأجاب بالامتحان يكرم المرء أو يهان.

وأعطيت ست جوائز للتلاميذ الذين يلون هؤلاء في النجاح وهم الشيخ رفاعة وبيومى ومحمد شنان ومحرمجي ويوسف أفندى وسليمان أفندى.

ومن ذلك يظهر جليا أن المصريين الأصليين قد نجحوا بقدر ما نجح العثمانيون المتمصرون. فقد نال الجوائز من المصريين ثمانية من سبعة عشر، ومن العثمانيين ستة من سبعة عشر. وكان توزيع الجوائز على من نالوها في 4 يوليو الماضي في المدرسة المتوسطة بحضور الجنرال الكونت بليار أحد أعضاء مجلس الأشراف الفرنسي والكونت دور ومسيو باسيه ومسيو چوبير و مسيو بيانكى وجرسان دى تاسى وآخرين من العلماء المستشرقين.[26]

وقد ذكر عمر طوسون قائمة التلاميذ المصريين موزعين على الفروع المختلفة من الفنون والعلوم مع تعيين بلادهم الأصلية وسن وصولهم إلى فرنسا:

الرقم	الإسم	البلد المولود به	السن	العلم المرسل له
.1	مهردار عبدي أفندي	الآستانة	1829م	الإدارة الملكية
.2	أرتين أفندي أرمني مسيحي	أيضا	22	أيضا
.3	سليم أفندي.....	جورجيا	19	أيضا
.4	محمد خسرو.....	أيضا	21	أيضا
.5	دويدار مصطفى أفندي....	قوله بالروملي	24	الإدارة الحربية
.6	رشيد أفندي	أباظيا	24	أيضا
.7	أحمد أفندي	قوله	25	أيضا
.8	سليمان أفندي	شركسي	18	أيضا

.9	حسن أفندي	أيضا	37	الإدارة البحرية
.10	محمود أفندي	أيضا	21	أيضا
.11	محمد شنان أفندي	أيضا	20	أيضا
.12	اصطفان أفندي أرمني مسيحي	سباسطيا	22	السياسة
.13	خسرو أرمني مسيحي	آستانة	18	أيضا
.14	مصطفى محرمجي	قاهرة	17	قوى المياه
.15	محمد بيومي	أيضا	أيضا	أيضا
.16	الشيخ أحمد العطار	أيضا	27	العلوم الميكانيكية
.17	مظهر أفندي	أيضا	17	الهندسية الحربية
.18	سليمان البحيري	أيضا	18	أيضا
.19	على أفندي	جورجيا	أيضا	أيضا
.20	عمر أفندي	شركسي	20	المدفعية
.21	سليمان لاز أفندي	طرابزون	25	أيضا
.22	أمين أفندي	الآستانة	أيضا	صب المعادن وصنع الأسلحة
.23	أحمد حسن حنفي	قاهرة	18	أيضا
.24	حسن الورداني	أيضا	17	الطبع بأنواعه والحفر
.25	محمد أسعد	أيضا	15	أيضا
.26	عمر الكومي	أيضا	18	العلوم الكيميائية
.27	أحمد يوسف	أيضا	20	أيضا
.28	أحمد شعبان	أيضا	17	أيضا
.29	يوسف العيادي	أيضا	18	أيضا
.30	علي هيبة	أيضا	أيضا	الطب والجراحة
.31	الشيخ محمد الدشطوطي	أيضا	23	أيضا
.32	يوسف أفندي مسيحي	أرمينيا	أيضا	الزراعة
.33	خليل محمود	قاهرة	20	أيضا
.34	على حسين	أيضا	18	التاريخ الطبيعي والمعادن
.35	أحمد النجدلي	أيضا	16	أيضا

CC BY

.36	أحمد (ابن أخي مصطفى)	اليونان	18	أيضا
.37	الشيخ رفاعة	طهطا مصر	24	الترجمة

[1] : تاريخ الإسلام للذهبي، (890/12)

[2] : مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك لسعيد عبد الفتاح عاشور (ص: 39)

[3] : جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، 203/2

[4]: صفات رب العالمين – رسائل جامعية، (14/5 بترقيم الشاملة آليا)

[5] : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ص: 1242

[6] : الفن ومذاهبه في النثر العربي، ص: 386

[7] : حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، ص: 1242

[8] : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، لإلياس الأيوبي، الطبعة: الثانية 1416 – 1996م، الناشر: مكتبة مدبولي، القاهرة، 170/1

[9] : المصدر السابق، 171/1

[10] : عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، الطبعة: الخامسة 1409هـ – 1989م، الناشر: دار المعارف القاهرة، ص: 397

[11] : القول التام في التعليم العام، ليعقوب آرتين، ترجمة: على بهجت، الطبعة: 2017، الناشر مؤسسة هنداوي، ص: 11

[12] : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، 171/1

[13] : التعليم العام في مصر، ليعقوب آرتين، الطبعة (بالفرنسيا): 1890، ص: 176

[14] : عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، الطبعة: الخامسة 1409هـ – 1989م، الناشر: دار المعارف القاهرة، ص: 397

[15] : المصدر السابق، ص: 400

[16] : تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، 523/3

[17] : تطور الأدب الحديث في مصر، أحمد عبد المقصود هيكل، الطبعة: السادسة 1994م، الناشر: دار المعارف، ص: 27

[18] : عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، ص: 403

[19] : المصدر السابق، ص: 408

[20] : تاريخ مصر في عهد الخديوي إسماعيل باشا، 171/1

[21] : البعثات العلمية في عهد محمد علي لعمر طوسون، ص: 9 - 10

[22] : المصدر السابق، ص: 10

[23] : المصدر السابق، ص: 11

[24] : عصر محمد علي لعبدالرحمن الرافعي، ص: 407

[25] : البعثات العلمية في عهد محمد علي لعمر طوسون، ص: 13

[26] : المصدر السابق، ص: 14 - 17